



شعرية توازي الصور الهجائية (جرير والفرزدق أنموذجاً)
(بحث في جماليات توازي الصور الشعرية)

الباحثة : رنا هشام منصور أ.د. جميل بدوي حمد الزهيري

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

المخلص

يبرز الهجاء غرضاً من أهم الأغراض الشعرية التي إنمازت فيها نقائض (جرير) و(الفرزدق)، إذ قادا مناظرات شعرية كثيرة، تعبر عن مقدرتها الفنية وبراعتها الأدبية، إذ إنمازت النقائض لديهما بأسلوب يكشف عن انفعالات كل منهما، فكان الهجاء أداة فعّالة ليصب كل منهما جام غضبه على الآخر؛ من خلال استعمالهما للألفاظ التقبّحية، وذكر العيوب والمساوي التي ينتقص فيه كل طرف من الآخر.

وقد وجدنا أن الصور الشعرية الهجائية تفرز توازيات دلالية تحقق شعرية مائزة، إذ نسعى من خلال هذا البحث كشف تلك التوازيات الشعرية وتأثيرها في ربط أجزاء النص الشعري وشد انتباه المتلقي، من خلال ما تحققه تلك الصور من توازيات دلالية تسهم في خلق كثافة شعرية داخل البناء النص لنقائض جرير والفرزدق.

Abstract:

Satire is one of the poetic objects that revealed in Jareer's and Al-Farazdaq's contraries. Both had administered a poetic arguments expressing their Artistic capability and Literary artfulness .The contraries of both expressed through their emotions, and satire was an active tool to exchange their anger on each other by using shameful words ,and mentioning the defects and uprightness of each others.

We found that the satiric poetic images present a distinctive semantic parallel .We seek through this research to explore these poetic parallels and their effect on the parts of poetic text and how to attract the receiver ,and the results achieved by these images in semantic parallels are to create the poetic intensively inside Jareer's and Al-Farazdaq's text structure.

المقدمة :

يعدُّ غرض الهجاء من أبرز الأغراض الشعرية في نقائض (جرير) و(الفرزدق)، وأكثرها استعمالاً؛ إذ شكّل الشاعران فيه صوراً هجائية لاذعة، وإيحاءات وصور ساخرة تحط من قيمة المهجو، وقد برزت في غرض الهجاء قدرة الشاعرين على توليد صور هجائية مبتكرة تجمع بين العناصر المتباينة والمتباعدة، ونرى إن التوازي قد خلف علاقات دلالية تقرب العناصر بعضها من بعض الآخر؛ لتجعلها أكثر انسجاماً وقدرةً على توليد شعرية مائزة توجه عاطفة المتلقي نحو الغرض الذي يريد إيصاله الشاعر .

وقد لحظنا أنّ كلا الشاعرين قد استغلا غرض الهجاء في نقائضهما، لرسم صور هجائية قبيحة لنساء الخصم، من خلال استعمالهما للمعاني البذيئة والسلبية، ومعاني الفحش والتقيح الساخرة، والغاية من ذلك إذلال الخصم بالتشهير به، وكذلك "لسلب المهجو فضائله، وتشويه صفاته المحمودة"^(١)؛ لأنّ الشاعر بذلك يدرك مدى إيلاام الأمر لخصمه والآثار المترتبة على ذلك.

ويعد الهجاء أحد أهم الأعمدة الأساسية التي بُنيت عليها الصور الشعرية لنقائض جرير والفرزدق وقد لحظنا أن صور هجاء (جرير)، لخصمه (الفرزدق)، كانت متنوعة وتمتلئ بالردائل

النفسية والتحقير للخصم إذ كان (جرير)، يشبه خصمه بالقرد ويعيره بالقين، (مهنة الحدادة)، وكان (الفرزدق)، يترفع عن ذلك؛ إذ يرى أن هذه الصناعات لا تليق به فهي من تخصص العبيد ولا تليق بالسادة^(٢). أما (الفرزدق)، فقد بدأ بهجائه (جرير)، عندما نال الأخير من أعراض نساء قومه وبهذا أصبح الهجاء لديهما حرفةً يحترفها^(٣).

فيختلفان للمريد ويحاول كل منهما أن يبلغ من المجد كل مبلغ، والغرض الأساسي من ذلك هو إعجاب الجمهور سواء كانوا من الخصوم وغير الخصوم^(٤). وبهذا يثبت كل منهما تقوقه على الآخر. ومن مواضع الهجاء التي رصدناها في نقائض الشعارين ما قاله (جرير)، هاجياً (الفرزدق)، وحاطاً من شأنه [من الطويل]:

بني مالِكِ جاءَ القيوُنُ بِمُقْرِفِ
إلى سابقِ يَجْري ولا يَتَكَلَّفُ^(٥)

يرسم (جرير) هنا صورتين متوازيتين، أحدهما هي صورة تحقيرية لخصمه (الفرزدق)، فيصفه بأنه هجين لا أصل له، أما الصورة الثانية فالشاعر يعني بها نفسه، فهو (السابق) المتقدم على خصومه وله سبق في كل شيء، فهو يجري ولا يستثني أحداً، وفي ذلك إشارة لخصمه (الفرزدق)، فهو يريد أن يخبره بأنه، يتقدم الآخرين ولا يستثني أحداً حتى (الفرزدق)، ونلاحظ أن الصورتين اللتين جمعهما غرض الهجاء، قد شكلا توازياً دلالياً عزز الترابط النصي وخلق شعرية مائتة تمثلت في تأكيد هجاء (جرير) لخصمه والصاق معاني التحقير والاستهزاء به، وإثبات المكارم لنفسه، وحققت ذلك من خلال التأثير على المتلقي وتوجيه ذهنه لما يريده له.

ثم يسخر (جرير)، من خصمه (الفرزدق)، واصفاً إياه بالطائش كثير المعاييب، في قوله [من الطويل]:

لَقَدْ وُلِدْتُ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فاسِقاً
وجاءتْ بِوَزْوَازٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ^(٦)

بوازي (جرير) بين صورتين هجائيتين؛ إذ ينعت (الفرزدق)، بأنه فاسق كثير المعاييب فيه من الطيش والخفة كالطائش خفيف المشية قبيح الهيئة، للدلالة على قصر ساقه (الفرزدق)، فرسم الشاعر صورة مضحكة لخصمه، فحقق معانياً متوازياً دلالياً ولدت شعرية مائتة تمثلت في تأكيد معنى

الاستصغار بالخصم وتحقيره والاستهزاء به،، فحققت هذه الشعرية المتعة واللذة الفنية للمتلقي من خلال التأثير فيه، لتأكيد معاني الاستهزاء بالخصم وإصاق الصفات السلبية به.

ثم لا ينفك (جرير)، من هجائه لخصمه (الفرزدق)، وقومه نافياً عنهم المكارم، ومفتخراً

بآبائه ومستهنئاً بمفاخر وأمجاد قوم خصمه (الفرزدق)، وقائلاً [من الكامل]:

إني بنى لي في المكارم أولي ونفخت كيرك في الزمان الأول
أغيثك مآثره القيون مجاشع فأنظره لعلك تدعي من نهشل^(٧)

يجمع (جرير)، بين المعاني الدلالية المتناقضة في إطار من السخرية والهزاء ممزوجاً بالفخر؛ إذ يفتح البيت الأول مفتخراً بنفسه وما تركه له الآباء والأجداد من أمجاد، فهم أهل المكارم، ومن جانب آخر يقابل صورة الفخر بصورة هزاء يهجو بها خصمه (الفرزدق)، فينعتُه بأنه ينفخ بالكير، ليعيره بمهنة والده، أما في البيت الثاني نرى إن (جريراً)، يهزأ من خصمه (الفرزدق)، فيقول له: إن لا فخر لك (بمجاشع)، قومك فهم أصحاب صناعات لا فخر فيهم، فأنظر لعلك تجد هذا الفخر في قوم نهشل، و(نهشل)، أخو (مجاشع)^(٨). فالشاعر يحاول الاستهزاء بخصمه.

ونرى أن تنوع الصور الشعرية هنا، قد خلق توازياً دلالياً انسجمت فيه دلالة الأبيات فخلق ذلك بناءً نصياً مترافقاً حقق شعرية جميلة تمثلت في تأكيد نفي المكارم عن خصمه وإصاق الصفات السيئة بهم، وتوجيه عاطفة المتلقي أيضاً إلى جانب الفخر الذي أكد الشاعر على أنه خاص بقومه من دون غيرهم، فالشاعر يقدم صورة لنفسه يعلو بها من شأنه، ويوازيها بصورة لخصمه يحط فيها من شأنه.

ويهزأ (جرير)، مجدداً من قوم خصمه (الفرزدق)، ويرسم لهم صوراً ساخرة قائلاً [من الوافر]:

ولئيلة رخرخان تركت شيباً وشعثاً في يوتكم سغابا
رضعتم ثم سال على لحاكم ثعالة حيث لم تجدوا شرايا^(٩)

يصف (جرير)، قوم خصمه (الفرزدق)، ساخراً منهم، فيصفهم بأنهم جبناء تركوا أرض

المعركة وهم شعناً فوق ثيابهم الغبار، وقد نالهم الصيم وتركهم جياح ويقابل ذلك بصورة مختلفة في

البيت الثاني، لكنها تدور في اطار السخرية من قوم (الفرزدق)، والاستهزاء بهم، فيصورهم بأنهم يشربون حليب إناث الثعالب فيسيل هذا الحليب على لِحاهم، دلالة على الجبن والتخاذل.

ونرى أن تقابل المعاني الدلالية وتووعها، قد خلق توازياً دلالياً كفيلاً بتحقيق الانسجام والترابط النصي، وهذا التوازي خلق شعرية مائزة تمثلت في إقناع المتلقي من خلال تأكيد فكرة الجبن والتخاذل وإصاقها بقوم المهجو، ونرى إن التوازي الدلالي قد كشف أيضاً عن جمال الصور الشعرية وغرابتها ودقة تصويرها، مما اسهم في تحقيق أكبر قدر من الشعرية الإقناعية في ظفر الشاعر بخصمه. ويتخذ (جبرير)، من حادثة مقتل (الزبير ابن العوام)، وخيانة قوم الفرزدق له، سبباً آخر ليهجو (الفرزدق)، وقومه، إذ قال [من الوافر]:

أَلَا قَبِحَ الْإِلَهِ بَنِي عِقَالٍ وَزَادَهُمْ بَغْدُهُمْ إِزْتِيَابَا
أَجِيرَانَ الرَّبِيِّرِ بَرِئْتُ مِنْكُمْ فَأَلْقُوا السَّيْفَ وَأَخَذُوا الْعِيَابَا^(١٠)

نلاحظ أن (جبريراً)، يُعَيِّر (الفرزدق)، وقومه بتخاذلهم عن نصره (الزبير)، ويصفهم بالعدو والجبن، ثم يصور شدة جبنهم بأنهم ألقوا السيف ولبسوا لباس النساء ونلاحظ مدى سخرية (جبرير)، من خصمه (الفرزدق)، و قومه، إذ يصورهم بأنهم نساء تحمل العياب وليس لهم قدرة على حمل السيف. ونلاحظ أن هذه التوازيات الدلالية المتقابلة، قد خلقت تماسكاً وانسجاماً ملحوظاً عزز الترابط النصي، وأبرز شعرية مائزة تمثلت في نفي صفة الشجاعة والمروءة عن قوم (الفرزدق)، وإصاق صفات الجبن والعدو بهم، فحققت هذه الشعرية تأثيراً كبيراً في المتلقي، من خلال توجيه ذهنه إلى ما يريده الشاعر.

وفي سياق الهجاء أيضاً، نلاحظ إن (جبريراً)، هو أول من ابتدأ بهجاء خصمه (الفرزدق)، هجاءً فاحشاً^(١١).

فاستعمل معاني التشهير بنساء خصمه (الفرزدق)، موعلاً في رسم صور الفحش وذكر المعاييب وهتك الأعراض، بالمقابل نرى أن (الفرزدق)، لا يتورع عن استعمال معاني الهجاء المقذع وذكر الأعراض والتشهير بنساء قوم (جبرير)، ونرى إن الغاية من وراء ذلك هي، إضفاء عنصر الإثارة والتجديد فضلاً عن التشويق، من أجل إثارة انتباه المتلقي لما يقوله الشاعران؛ فيتشوق الجمهور

لسماع هذا الهجاء والتلذذ بما يسمعون؛ فيشغلهم ذلك عن الخوض في غمار السياسة وأمور الحكم^(١٢). ونلاحظ أنّ الشاعرين قد رسما في هذا الاتجاه من الهجاء، صوراً شعرية مبتكرة وغريبة أحياناً وغير مألوفة، ونرى إن هذه الصور وتنوعها قد ولّد توازياتٍ دلالية خلقت شعرية مائزة تمثلت في تحقيق المتعة للمتلقي، فلها جمهورها الخاص المستعد لسماع مثل هذه البذاءات والاحتفال بها، وكذلك وجهت عاطفة المتلقي إلى الأفكار التي أرادها الشاعر، والمتحققة بفضل تلك التوازيات.

وفي سياق الهجاء الفاحش المقذع، يسلط (جرير)، سهامه ليثير حفيظة خصمه (الفرزدق)،

فيهجوه بأخته (جعثن)، قائلاً من [الطويل]:

وأوقدت بالسَّيدانِ ناراً دَلِيلَةً
وعُرِفَتِ مِنْ سَوَاتِ جِعْثِنِ مَشْهُدًا^(١٣)

نلاحظ هنا تنوع الصور المتوازية دلاليّاً في غرض الهجاء، إذ يهجو (جرير)، خصمه (الفرزدق)، فيصف ناره بأنها ضعيفة للدلالة على بخله في الضيافة، ثم يرسم صورة أخرى موازية لهذه الصورة، إذ يصور إشعال النار وإن كانت ضعيفة، فإنها فضحت الفرزدق، فأظهرت سوءه (جعثن)، أخته وأفعالها المشينة، و(جرير)، هنا يمعن في هجاء خصمه (الفرزدق)، بقصد إذلاله والسخرية منه، إذ قد تأتي الصور المتوازية موجهةً إلى الخصم من دون التفات الشاعر إلى نفسه في إعلاء شأنه. ونلاحظ إن التنوع الدلالي للصور الشعرية قد خلق توازياً دلاليّاً جمع بين المعاني المختلفة (البخل و الفحش)، فخلق ذلك انسجاماً دلاليّاً وترابطاً أفرز شعرية مائزة تمثلت في تأكيد معاني البخل والفحش التي أرادها الشاعر والصقها بخصمه (الفرزدق).

ويستمر (جرير) في هجائه المقذع، إذ يوجه سهام هجائه نحو (الفرزدق)، فينعت اخته

(جعثن)، بأبشع النعوت مع علمه بأنها امرأة صالحة وعفيفة^(١٤). بقصد إهانته وإلحاق العار به، فقال

[من الكامل]:

وَمَجْرٌ جِعْثِنِكُمْ بِذَاتِ الْحَرَمِ
وَعِجَانٌ جِعْثِنٌ كَالطَّرِيقِ الْمُعْمَلِ
بِمَجْرٍ جِعْثِنٍ يَابِئِ ذَاتِ الدُّمْلِ
وَالْمُنْقَرِيِّ يَدُوسُهَا بِالْمِنْشَلِ^(١٥)

وَأفَاكُ عَدُوِّكَ بِالزَّبِيرِ عَلَى مَنِي
بَاتَ الْفَرَزْدَقُ يَسْتَجِيرُ لِنَفْسِهِ
أَيْنَ الَّذِينَ عَدَدْتِ أَنْ لَا يُدْرِكُوا
أَسْلَمْتَ جِعْثِنٍ إِذْ يُجْرُ بِرِجْلِهَا

نلاحظ أن (جربراً)، يلحُ في هجاء (جعثن)، اخت (الفرزدق)؛ لِيُمعن في ايدائه وتحقيره، إذ نلاحظ تدافع الصور الشعرية الفاحشة التي يصف بها (جربير)، أخت خصمه (الفرزدق)، فيصفها بأنها امرأة سيئة الخُلق وتمارس الفاحشة مع الرجال، ويوغل بوصف فحشها حين يصفها بأن الرجال يسحبونها من رجلها لتمارس الرذيلة في الطريق.

ونرى إن هذا التنوع الدلالي للصور الشعرية، قد خلق توازياً دلالياً بين تلك الصور الشعرية؛ إذ حقق هذا التوازي شعرية مانزة ربطت أجزاء الأبيات الشعرية وجعلتها أكثر انسجاماً واتساقاً وترابطاً وتمثلت الشعرية هنا، في التأثير في المتلقي وتوجيه عاطفته وأفكاره بحسب ما يريده الشاعر من محاولته تأكيد الصفات البذيئة و تكثيف حضورها في النص، وإلصاقها بخصمه (الفرزدق)، واخته. ونلاحظ وجود أبيات أخرى في الهجاء الفاحش المقذع لدى جربير^(١٦). ولا مجال لذكرها هنا لفحشها وإفداعها.

وينوع (جربير) في رسم الصور الهجائية لخصمه (الفرزدق) إذ يصفه بأنه (كالقرد)، لقبه وقصره، ودمامة وجهه، فقال [من الوافر]:

وَهَلْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قِرْدٍ
أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارَ^(١٧)

يصور (جربير) خصمه (الفرزدق)، بأنه (قرد)، فأصابته صاعقة فاستدار إنساناً، للدلالة على قبحه، والاستهزاء به، وهذه الصور الشعرية خلقت توازياً دلالياً منح البيت شعرية جميلة تمثلت في تأكيد نفي الجمال عن الخصم ووصفه بالقبح والانتقاص منه بقصد إضحاك الجمهور عليه.

ثم يعود (جربير)، ليصور خصمه (الفرزدق)، بأنه (قرد) مرةً أخرى، ولا مجال لمقارنته بالأسد وهيبته ويقصد بذلك نفسه، إذ قال [من الطويل]:

عَشِيَّةً لَأَقَى الْقِرْدُ قِرْدَ مُجَاشِعٍ
هَرِيئاً أبا شِبْلَيْنِ فِي الْغَيْلِ قَسُوراً^(١٨)

يصور (جربير)، خصمه (الفرزدق)، بأنه (قرد)، و يؤكد ذلك بتسميته (قرد مجاشع)، فينسبه إلى قومه دلالة على الاستهزاء والتحقير، ويقابل هذه الصورة بصورة أخرى يصف فيها نفسه بأنه أسدٌ شجاع وشديد، وذلك في معرض مقارنة بينه وبين خصمه (الفرزدق)، إذ يخلق تنوعاً دلالياً لصور

الهاء، ونرى أن هذا التنوع قد أفرز توازياً دلالياً، ذا شعرية جميلة تثير ذهن المتلقي إلى ما أراده الشاعر من أن غريمه (الفرزدق)، (قرد)، أما هو (أسد)، قسور وشتان بين الأسود والقروء، فهذا التوازي قد حقق انسجاماً وتناسقاً نصياً من خلال طرح صورتين متقابلتين متوازيتين تكمل إحداها الأخرى.

وينوع (جرير) في استعمال الصور الشعرية التي يسخر فيها من قوم خصمه (الفرزدق)، وحسبهم ومجدهم العريق، لينال من خصمه موظفاً التوازي الدلالي لشعريته، كما في قوله [من الكامل]:

أَبْلِغْ بَنِي وَقْبَانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ خَفَّتْ فَلَا يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
أُزْرَى بِحِلْمِكُمْ الْفِيَّاشُ فَأَنْتُمْ مِثْلُ الْفَرَّاشِ عَشِينَ نَارِ الْمُصْطَلِيِّ (١٩)

نلاحظ تنوع الصور الشعرية ودلالاتها في هجاء (جرير)، لخصمه (الفرزدق)، إذ يصور قوم خصمه بأنهم حمقى ولا يزنون حبة خردل، فلا قيمة لهم بين الناس، بالمقابل يرسم صورة موازية لهذه الصورة؛ إذ يهزأ بقوم خصمه (الفرزدق)، ويصفهم بالتعالي والغرور ولكنهم جبناء لا يواجهون عدوهم فهم كالفراش يخشى النار التي أوقدها هو لهم، ومن يعرض له منهم فإنه يحترق في تلك النار، ما أن يقرب منها، ونلاحظ دقة التصوير والابتكار في رسم الصور الشعرية في إطار من السخرية والاستهزاء لينال من خصمه (الفرزدق)، وهذه الصور المتنوعة شكلت توازياً دلالياً حقق شعرية مائزة خلقت التأثير في المتلقي، من خلال توجيه عاطفته بحسب ما يريده لها الشاعر، إذ أراد تأكيد نفي الحسب الرفيع عن قوم خصمه (الفرزدق)، وإبراز قوته وبأسه وصور ذلك بالنار التي تحرق كل من يقبل عليه بسوء.

أما الهجاء عند (الفرزدق)، فإنه يمتلى بصور شعرية تتناقض ما جاء به (جرير)، إذ مزج بين الهجاء والفخر؛ فالهجاء لدى (الفرزدق)، يعتمد على الفخر بنفسه وأمجاد قومه، والانتقاص من خصمه (جرير)، إذ يصوره بصور تحقيرية ساخرًا منه ومن حسبه ونسبه الوضع، إذ يصفه بأبن (المراعة)، أي ابن راعية الغنم، وغير ذلك من صور السخرية والاستهزاء، وهذه الصور المتنوعة قد



خلقت توازيات دلالية عززت الانسجام النصي ومنحت هذه النصوص شعرية واضحة تجعل المتلقي يتأثر بالأفكار والصور والمعاني الدلالية التي ساقها له الشاعر، ليوجه ذهنه بحسب ما يريده.

ويمطر (الفرزدق)، سهام هجائه نحو (جرير) وقومه، فيصفهم باللؤم في قوله [من الوافر]:

وَلَوْ تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كَلَيْبٍ نُجُومُ اللَّيْلِ مَا وَضَحَتْ لِسَارِ
وَلَوْ لَبَسَ النَّهَارَ بَنُو كَلَيْبٍ لَدَنَسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَ النَّهَارِ^(٢٠)

ينوع (الفرزدق) في رسم الصور الشعرية التي يهجو بها خصمه (جرير) وقومه فينتهم باللؤم الذي لو زُميت به نجوم الليل لاخفت وتلاشت لشدّة لؤمهم، ثم يصورهم بصورة مختلفة وموازية للصورة الأولى؛ إذ يصف قوم (جرير)، بأنهم لو لبسوا النهار لدنسوه بلؤمهم، وهذا التنوع الدلالي في الصور الشعرية، قد خلق توازياً دلالياً حقق تماسكاً وتربطاً وانسجاماً و تكثيفاً للأفكار، فولّد شعرية مائزة تمثلت في تأكيد معنى اللؤم والصاقه بقوم الخصم.

ثم يعود (الفرزدق)، ليصف قوم خصمه (جرير)، باللؤم ولكن بصورة مختلفة في قوله [من

الكامل]:

مُتَبَرِّقِي لُؤْمِ كَأَنَّ وَجْهَهُمْ طَلَيْتُ حَوَاجِبَهَا عَيْنِي قَارِ^(٢١)

يصور (الفرزدق) قوم خصمه (جرير)، بصورة شعرية دقيقة الوصف ومبتكرة في الوقت نفسه؛ إذ يجعل من اللؤم طلاءً تُطلى به وجوه قوم (جرير)، وصور ذلك بشكل مقرف يشبه طلاء البعير إذا جرب، وعزز هذه الصورة بدلالة لونية هي (القار)؛ وذلك للدلالة على سواد الطلاء، فاللؤم إذا بان على وجه الإنسان تغيرت سحنته، فهذه المعاني الدلالية والصور الشعرية المتنوعة، خلقت توازياً دلالياً بائناً بين هذه الصور، وهذا التوازي أفرز شعرية جميلة حققت تواصلاً فكرياً على اتساع البيت الشعري، من خلال توجيه خيال المتلقي بحسب ما أراده الشاعر من تأكيد لمعنى اللؤم والخبث والصاقه بقوم المهجو.

وفي موضع آخر من مواضع الهجاء يسخر (الفرزدق) من نسب (جرير)، في قوله [من

الكامل]:

وَحَسِبْتُ بَحْرَ بَنِي كَلَيْبٍ مُضْطَرّاً فَعَرِّقْتَ حِرِينَ وَقَعْتَ فِي الْقَمَقَامِ^(٢٢)

يرسم (الفرزدق) صورة شعرية يسخر فيها من ادعاء خصمه (جرير)، بأنه شريف النسب، فالشاعر يبلغ خصمه إن بحره لا يروى أحدٌ وإن ادعائه المفاخر والمجد لأبائه هو مجد مزيف يدعيه (جرير)، لنفسه ليجاري (الفرزدق) في هذا الجانب، ويقابل الشاعر هذه الصورة بصورة موازية لها؛ إذ يفخر (الفرزدق)، بنفسه ويشبهه نسبه الرفيع بالبحر العميق الذي لا يستطيع (جرير) خوضه، وإذا حاول ذلك غرق فيه وانتهى أمره، وهذا التقابل الدلالي للصور الشعرية وتنوعها، خلق توازياً دلالياً ولّد شعرية حققت التأثير في المتلقي من خلال تأكيد معنى الاحتقار والاستهزاء بنسب (جرير) وتأكيد نفي الحسب الكريم عنه، بالإضافة إلى تأكيد المكارم والمفاخر والنسب العريق وإصاقها بقوم (الفرزدق)؛ إذ حقق التوازي شعرية مائزة وجهت عاطفة المتلقي بحسب ما أراده لها الشاعر.

ثم يجهر الفرزدق بهجائه لخصمه (جرير)، ويصور نفسه بالغمامة التي تعلق فوق رأس خصمه (جرير) في قوله [من الكامل]:

إِنِّي غَمَمْتُكَ بِالْهَجَاءِ وَبِالْحَصَى وَمَكَارِمٍ لِفَعَالِيهِنَّ مَنَارُ^(٢٣)

يصور (الفرزدق)، هجائه لخصمه (جرير)، بأنه كالغمامة تعلق فوق رأس خصمه (جرير)، ثم يصف كثرة تلك القصائد التي يهجو بها (جرير)، بأنها كثيرة كالحصى للدلالة على كثرة ما يهجو خصمه ويبغضه، ثم يرسم صورة الفخر بمكارم قومه وأفعالهم النيرة، فنلاحظ إن الفرزدق ينوع في دلالة صور الهجاء، مما خلق توازياً دلالياً أفرز شعرية مائزة تمثلت في تحقيق التأثير في ذهن المتلقي، من خلال الكشف عن المبادئ الجمالية داخل النص^(٢٤). وتوجيه عاطفة المتلقي نحو الأفكار التي أرادها الشاعر، والمتمثلة في تأكيد الفخر بالنفس والشاعرية والانقاص من المهجو، وهذا ما تقوم به شعرية التوازي، إذ تحقق الانسجام والترابط النصي الذي يعزز الجانب الدلالي ويكشف من مكان الجمال والتأثير في النص.

ويستمر (الفرزدق)، في رمي سهام هجائه نحو خصمه (جرير)، وقومه ساخرًا منهم وواصفًا إياهم بالقنافذ في سياق من التحقير والاستهزاء في قوله [من الطويل]:

قَنَافِدُ دَرَامُونَ خَلْفَ جِحَاشِهِمْ لِمَا كَانَ إِيَاهُمْ عَطِيَّةً عَوْدًا^(٢٥)

يسخر (الفرزدق)، من قوم خصمه (جرير)، ومن (عطية) والد جرير كذلك؛ فيصفهم بأنهم قنفاذ تمشي بسرعة خلف الجحاش، ثم يصف والد (جرير)، (عطية)، بأنه المعلم لهم الذي عودهم على ذلك ومرنهم عليه، وهذا الصورة تُظهر مدى استهزاء (الفرزدق)، بجرير وقومه وتحقيرهم، هذه الصورة الشعرية التي جاءت في صدر البيت خلقت توازياً دلاليّاً مع عجزه، إذ جاء الشطر الثاني مكماً للمعنى الدلالي في الشطر الأول، فخلق ذلك توازياً أفرز شعرية تأبيرية يتمخض عنها إقناع المتلقي؛ إذ تمثلت في تأكيد معنى الاحتقار والاستهزاء بالخصم وقومه.

ومن صور الهجاء لدى (الفرزدق)، صوراً وجدنا إنها موغلة بالفحش والإقذاع يرد بها على خصمه (جرير)، الذي أبتدأ بهذا اللون من الهجاء الذي كانت فيه المرأة المصدر الأساس لهذه الصور الهجائية المقذعة.

ومن صور هجاء (الفرزدق)، لنساء قوم (جرير)، وهن سبايا تسوقهن الرجال وهن ذليلات،

فقال [من الطويل]

وَهُنَّ رُدَافِي يَلْتَفِتُنَّ إِلَيْكُمْ
لَأَسْوُقَهَا خَلْفَ الرِّجَالِ قَعَقَاعُ
بِعِيطِ إِذَا مَا لَتْ بِهِنَّ خَمِيْلَةٌ
مَرَى عَبْرَاتِ الشُّوقِ مِنْهَا المَدَامِعُ^(٢٦)

يعرض (الفرزدق) هنا صوراً هجائية عديدة، يهجو بها نساء (بني كليب)، قوم خصمه (جرير)، إذ يصور سببهن وهن خلف الفرسان على الخيول، ثم يرسم صورة صوتية لوقع أرجلهن تُقعقع فوق الخيل والعبيرات تفيض بها الدموع، ثم يصور وجوههن كوجوه الإماء ذليلة مكشوفة للمارة.

ونلاحظ أن تنوع الصور الشعرية المتقابلة قد خلق توازياً دلاليّاً منح النص ترابطاً وانسجاماً وتكثيفاً للأفكار، وخلق شعرية مائزة تمثلت في تأكيد معاني الإذلال والإهانة التي ألصقتها الشاعر بنساء قوم خصمه (جرير)، بالإضافة إلى الإيحاءات التي استعملها (الفرزدق)، التي وجهت ذهن المتلقي نحو ما أراده الشاعر للدلالة على الفحش والبذاءة، ومن تلك الألفاظ والإيحاءات (رُدافي، خلف الرجال، بعيط)، هذا الانسجام الدلالي بين الألفاظ أبرزه التوازي فحقق الشعرية التي بانته في

النص الشعري. ويقذع (الفرزدق)، في هجاء خصمه (جرير)، إذ يذكر عماته وخالاته ويصفهن بالدواب وذلك في قوله [من الكامل]:

فَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي	كَمْ خَالَةٍ لَكَ يَا جَرِيرَ وَعَمَّةٍ
وَلَهَا إِذَا سَمِعْتُ دُعَاءَ يَسَارِ	كُنَّا نُحَاذِرُ أَنْ تَصِيغَ لِقَاخَنَا
فَطَّارَةً لِقَوَائِمِ الْأَبْكَارِ	شَفَاةً تَقْدُ الْفَصِيلَ بِرِجْلِهَا
خَلْفَ اللَّقَاحِ سَرِيعةً الْإِذْرَارِ ^(٢٧)	كَانَتْ تُرَاوِحُ عَاتِقَيْهَا عُلبَةً

يوغل (الفرزدق)، في رسم صورة هجائية مقذعة لنساء قوم خصمه (جرير)، إذ يجمع بين عمات (جرير)، وخالاته يصفهن بأنهن يرعين الإبل ويقمن بالفاحشة أيضاً، مع الرعاة فيصورهن بصورة بذيئة فهن حتى عندما يذهبن للعمل (الرعي)، فهن يمارسن الفاحشة والشاعر يهين نساء خصمه (جرير)، بمكرٍ ودهاء، إذ يصفهن بأنهن يرعين الإبل، فهم عبيد ورعاة، ويقابلها بصورة أخرى هي ارتكابهن للفواحش والأعمال المخزية، فخلق بذلك تنوعاً دلاليّاً تقابلت فيه الصورتان فحقق ذلك شعرية مائزة أثرت في المتلقي من خلال تأكيد معاني الفحش والاستهزاء والتحقير، التي وصف بها (الفرزدق) نساء قوم خصمه (جرير)، فوجه بذلك عاطفة المتلقي نحو المعنى الذي أراده.

ونلاحظ أن هناك مواضع كثيرة للهجاء المقذع شديد الفحش في نقائض لفرزدق^(٢٨). لم نر

ضرورة لذكرها هنا.

بعد هذه الدراسة التي خاضتها الباحثة في توازي الصور الهجائية لدى جرير والفرزدق، توصلنا إلى نتائج كانت كالآتي:

- ١- إن أكثر ما يتردد في نقائض جرير والفرزدق هي صور الهجاء الفالحش المقذع التي تشع من صورة الخصم ونساء قومه.
- ٢- إن الصور الشعرية في نقائض جرير والفرزدق، خلقت توازيات دلالية أسهمت في ربط أجزاء النص وحققت انسجاماً وتناسقاً نصياً أفرز شعرية مائزة، تمثلت في تحقيق الغرض الشعري الذي أراده الشاعر.
- ٣- إن الصور الشعرية في نقائض جرير والفرزدق أفرزت توازيات دلالية انعكست على الجانب الصوتي وربطت بين التراكيب والجمال المتوازية.
- ٤- إن التوازي الدلالي للصور الشعرية في غرض الهجاء كان عنصر تأسيس في البنية النصية للنقائض، فالتوازي الدلالي يسهم في تكوين البنية العميقة للنص الشعري.

الهوامش

- (١) الهجاء بالمرأة في نقائض جرير والفرزدق، د. جميل بدوي حمد الزهيري، د. هادي سدخ العزاوي، بحث/٩٤.
- (٢) ينظر: التطور والتجديد في الشعر الأموي/١٥٢.
- (٣) ينظر: م.ن/١٦٤.
- (٤) ينظر: م.ن / ١٦٤.
- (٥) كتاب النقائض: ٢٦/٢، وينظر: ديوان جرير: ٩٢٨/٢، و المقرف: الهجين الذي داني الهُجنة من الفرس وغيره الذي امه عربية وأبوه ليس كذلك، لسان العرب: ٢٨١/٩، مادة(قرف).
- (٦) كتاب النقائض: ١٥٩/٢، وينظر: ديوان جرير: ٩٩٨/٢، واللوزاز: الرجل الطائش خفيف المشية. لسان العرب: ٤٢٨/٥.
- (٧) كتاب النقائض: ١٥٦/١، وينظر: ديوان جرير: ٩٤٠/٢.
- (٨) ينظر: كتاب النقائض: ١٥٦/١.
- (٩) كتاب النقائض: ٣١٧/١، وينظر: ديوان جرير: ٨١٨/٢، والسغاب: الجوع. المعجم الوسيط/٤٣٢، مادة(بَسْغَابُ)، الثعالة: حليب إناث الثعالب، م.ن / ٩٦، مادة (ثُعَالَة).

- (١٠) كتاب النقائض: ٣١٥/١، وينظر: ديوان جرير: ٨١٦/٢، والعياب من العيبة: وعاء من آدم يكون فيها المتاع، لسان العرب: ٦٣٤/١، مادة (عيب).
- (١١) ينظر: لتطور والتجديد في الشعر الأموي/١٦٤.
- (١٢) ينظر: الهجاء بالمرأة في نقائض جرير والفرزدق، د. جميل بدوي حمد الزهيري، د. هادي سدخ العزاوي، (بحث سابق) ٩٤/١.
- (١٣) كتاب النقائض: ٣٤٦/١، وينظر: ديوان جرير: ٨٥١/٢، والسيدان موضع عند كاظمة، وقد كان به مجر (جعثن)، أخت (الفرزدق)، ينظر: ديوان جرير: ٨٥١/٢ (الهامش).
- (١٤) ينظر: كتاب النقائض: ١٦٣/١، وينظر: تاريخ النقائض في الشعر العربي/٢١٠، وينظر: ديوان جرير: ٩٤١/٢ (الهامش).
- (١٥) كتاب النقائض: ١٦٣/١، وينظر: ديوان جرير: ٩٤١/٢، والمنقري عمران بن مرة، ينظر كتاب النقائض، ١٦٣/١، والمنشل: حديدة في رأسها عفاة ينشل بها اللحم من القدر. لسان العرب ٦٦١/١١، مادة (نشل).
- (١٦) ينظر: على سبيل المثال: كتاب النقائض: ١٦٥/١، الأبيات (٤٩، ٥٠، ٥٥، ٥٩).
- (١٧) كتاب النقائض: ١٨٤/١، وينظر: ديوان جرير: ٨٨٧/٢.
- (١٨) كتاب النقائض: ٣١٠/٢، وينظر: ديوان جرير: ٤٨٠/١، و هربتاً: هو الأسد الهريت أي مهروت الفم. لسان العرب: ١٠٤/٢، مادة (هريت).
- (١٩) كتاب النقائض: ١٦٥/١، وينظر: ديوان جرير: ٩٤٣/٢، وقبان: من وقب: الأحمق، المعجم الوسيط/١٠٤٨، مادة (وقب)، والفياش: من فاش الرجل فيشاً: أفتخر وتكبر ولا شيء عنده، م.ن/ ٧٠٨، مادة (فاش).
- (٢٠) كتاب النقائض: ١٧٩/١، وينظر: ديوان الفرزدق/٣٠٥.
- (٢١) كتاب النقائض: ٢٣٩/١، وينظر: ديوان الفرزدق/٣١١، والعنية: أخلاط من بعرٍ ويؤلُّ يُحبس مدة ثم يُطلى به البعير الجرب، لسان العرب: ١٠٣/١٥، مادة (عنية).
- (٢٢) كتاب النقائض: ١٩٣/١، وينظر: ديوان الفرزدق/٦٠٩، القمقام: البحر: ينظر: ديوان الفرزدق/٦٠٩ (الهامش).
- (٢٣) كتاب النقائض: ٢٢٩/٢، وينظر: ديوان الفرزدق/٣٢٣.
- (٢٤) ينظر: الشعرية/٢٣.
- (٢٥) كتاب النقائض: ٣٥٤/١، وينظر: ديوان الفرزدق/١٦٢، ودرامون: أي مشاؤون. ينظر: كتاب النقائض: ٣٥٤/١ (الهامش).
- (٢٦) كتاب النقائض: ١١٥/٢، وينظر: ديوان الفرزدق/٣٦٣، وردافي: الراكب خلف الراكب، المعجم الوسيط/٣٣٩، مادة (ردف)، والعيط ومفردها (عائط) وهي الناقة التي لم تحمل سنوات من غير عقر، لسان العرب: ٣٥٧/٧، مادة (عيط).
- (٢٧) كتاب النقائض: ٢٤١/١، وينظر: ديوان الفرزدق/٣١٢-٣١٣، والقدعاء: من القدع وهو أن تصطك كعباه وتتباع قدماه يميناً وشمالاً، لسان العرب: ٢٤٥/٨، مادة (قدع)، والعشار: اسم يقع على النوق حتى يُنتج بعضها فهي حديثة العهد بالنتاج. م.ن: ٥٧٢-٥٧٣، مادة (عشر) وشغارة: من الشغار: الطرد، م.ن: ٤١٧/٤، مادة (شغر).
- (٢٨) ينظر: على سبيل المثال: كتاب النقائض: ٤٦/١ (الأبيات ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥).